النظريات التربوية – المحاضرة 8-

مفهوم النظرية التربوية

يمكن تعريف النظرية التربوية بأنها النموذج الذي يرغب المجتمع أن يكون أطفاله ونشأه عليه، والمؤسسات التي تعد هذا النشء، والمقررات الدراسية والمناهج التي تستعمل في إعدادهم وتطوير مهاراتهم. (عبدالله بن اهنية، 2017)

وهي حسب(Y Bertrand) مجموعة من المدركات و التصورات المنطقية المنظمة التي يكونها الأشخاص حول نظام التربية لاستخدامها في تطوير هذا الأخير.

و قد تأخذ النظرية التربوية بعدا فلسفيا، خاصة إذا تمحورت حول قضية الأهداف التربوية التي تشكل الأساس في كل تربية نظامية مقصودة. و قد تكون النظريات التربوية أقل شمولية في حال معالجتها لأحد أبعاد المنظومة التربوية (المعلم، المتعلم، البيئة التعليمية، طرق التدريس، الإدارة و التسيير... الأمثلة...

مراحل تطور مفهوم النظرية التربوية. (عبدالله بن اهنية، 2017)

والمتتبع لمراحل تطور النظرية التربوية حسب الكيلاني، سوف يلاحظ بأنه في مطلع عصر النهضة الغربية الحديثة بدأ هذا المفهوم بالتركيز، وبشكل غير ذي قبل على إعداد الفرد وتأهيله من ناحية البنية العقلية، والفكرية ومن الناحية الجسدية أيضاً كي يكون فرداً نافعاً، فبدأ هذا النهج يطبّق على أرض الواقع بطريقة تتيح له فرص "الاستمتاع بالحياة" واستغلال البيئة المحيطة به والاهتمام بالتربية الجمالية والبدنية والسلوك.

وبالنظر إلى العصر الحديث فيمكن القول بأن النظرية التربوية قد تطورت إلى حد كبير، بل نحت منحى آخر يركز على رغبات الفرد وميوله فيما يخص الوظيفة أو التخصص. وتبعاً لذلك، أصبح من الضروري إعادة النظر في مفهوم "التربية" وأبعادها والنظر بعمق وبجدية إلى تطبيقاتها – السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والثقافية، والعسكرية – والنظر بعمق أيضاً إلى مخرجات المؤسسات التربوية والتعليمية كونها استثمار اقتصادي حقيقي ودعامة من دعائم

التطور التكنولوجي الذي أصبح يفرض نفسه أكثر من ذي قبل. ولذلك أصبح جليا تهافت الأمم والشعوب على تدارس نظريات التربية والتعليم وأصبحت منكبة ومنهمكة في التنقيب عن مكونات وتطبيقات مفهومها، لإخراج الفرد أو الإنسان بصفة عامة الذي يعيش على سطح هذه الكرة الأرضية والتي أصبحت أكثر من ذي قبل تبدو قرية صغيرة، غيرت التكنولوجيا الحديثة جل معالمها فنقلتها في وقت وجيزإلى مستوى أعلى في كل شيء؛ قرية فرضت على معظم قاطنيها أن يستخدموا التكنولوجيا في جل أعمالهم وحتى حياتهم الاعتيادية اليومية.

وإذا ما رجعنا إلى المجتمعات الإسلامية فسنلاحظ بأن تلك المجتمعات (في معظم الأحيان) اكتفت بما يحتويه تراثها الاسلامي العريق كمرجعية، وأصل ثابت تُبنى عليه كل النظريات، ولذلك لم يرَ المربُّون ضرورة لبلورة نظرية تربوية طالما لديهم أصولها في القرآن الكريم. وبناءً عليه، فإن بعض العلماء والباحثين تعمقوا في قضية "التعلّم" وتطوير العقل البشري فاجتهدوا في توضيح ذلك دون الخروج عن معالم الدين الاسلامي الحنيف. لكن وفي حقيقة الأمر فإن استخراج نظرية صرفة تعالج قضية التعلم لم تُعطى الجهد الكافي، أو ذلك الاهتمام البالغ أو الجهد اللازم، مما جعل التقليد يحل محل الاجتهاد ليتجزأ ذلك المفهوم للنظرية التربوية المستنبط من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ويأخذ مناحي متشعبة عند أهل المذاهب، وحسب ما يراه الكيلاني فإنه "لم يعد هنالك مفهوم "نظرية" بالمعنى الشامل الراسخ المحيط، واستمر هذا الفراغ حتى العصور الحديثة، حيث برزت أهميتها والإحاطة بمحتوياتها وتطبيقاتها؛ لأن الناس – أفرادًا وجماعات – يتعرَّضون في كل لحظة إلى كميات هائلة من الخبرات، والمعلومات التي يمطرهم بها التلفزيون، والراديو، والصور المتحركة، والكمبيوتر والإنترنت، ودور النشر والصحف والمجلات، والخطب والأحاديث والمناقشات، والملصقات والإعلانات...

دور النظريات الحديثة في الرفع من مردودية المؤسسات التربوية:

يذكر (عبدالله بن اهنية، 2017) أن مؤسسات التربية والتعليم تسعى حثيثاً لتطوير برامجها، ومقرراتها الدراسية كي تتماشى مع النظريات العصرية الحديثة، ولذلك نلاحظ بأنه

ومند مطلع هذا القرن، والمفكرون والسياسيون والإداريون في العالم العربي والإسلامي يحاولون إيجاد حلولا وسطية تجمع بين الحداثة من جهة، وبين تقليد الموروث القديم الضارب في عمق التاريخ من جهة أخرى. ويمكن أن نلاحظ أيضاً بأن الهوة بين الطرفين أو التيارين (أي المقلدين للموروث، والحداثيين) تزداد تباينا أحيانا ثم تضيق أحيانا أخرى في ظل توسع مفهوم حقوق الانسان من جهة، والاعتزاز بالموروث الفكري والثقافي والاجتماعي من جهة أخرى كونه دعامة لتعزيز الهوية والمواطنة.

إن المشكلة بوجه عام، هي ليست في الأفكار الموروثة وتطبيقاتها، أو الأفكار المستوردة وتطبيقاتها، ولكنها "مشكلة الأسلوب الذي نتعامل به مع الأفكار وتطبيقاتها العملية"، فنحن نحقن ونغذي عقولنا وعقول تلاميذنا وطلابنا بالأفكار التي قد نجهل أحياناً النظريات التي بُنيت عليها، بل لا نصل إلى مستوى هضمها ولا ندربهم التدريب اللازم والصحيح على هضمها، مما يُفضي إلى قتل ملَكة التفكير والابتكار (Creative Thinking Skills). ولذلك يجب التمحيص والنظر بعمق إلى ما يُنقل إلى التلاميذ من أفكار ومعلومات، مع مراعاة الفرق بين "هضم الأفكار والحقن بها"

ما المقصود بـ"هضم الأفكار" في العملية التربوية والتعليمية؟:

لابد من أن نتوقف هنا قليلاً عند مسألة "هضم الأفكار"، إذ العملية ليست بالسهلة، بل هي عملية معقدة يرى الباحثون والتربويون أنها مزيج من العناصر تهم المناهج والمتعلم والمعلم والفضاء المدرسي والعائلة أو الوسط الاجتماعي وكل ما له علاقة بالعملية التربوية والتعليمية. وهذه الأخيرة لا يمكن أن تتم بمعزل عن إرادة المتعلمين، بل ينبغي إشراكهم في كل ما يخص تلك المسيرة من قوانين، وقرارات واجراءات ومستجدات، وفي المسار الفعلي للعملية التربوية والتعليمية داخل وخارج حجرة الدرس، بحيث تمرر الأفكار أولاً على عقول الباحثين والعلماء المختصين، ويشارك فيها المتعلمين من حيث الاختيار أو الفرز؛ لتقوم الجهة المختصة بتحليلها وغربلتها وتمحيصها، وإعادة تركيبها وفرزها وتصنيفها بما يلائم حاجات التلاميذ تماشياً مع متطلبات الزمان والمكان، ثم يحوّلها إلى تطبيقات عملية من أجل تحقيق الأهداف المرسومة،

وبعد ذلك تأتي مرحلة توزيعها على مؤسسات المجتمع التنفيذية بمختلف ميادينها ومسؤولياتها، مع الحرص على متابعة نتائجها وذلك من خلال القياس والتغذية المرتدة (Feedback Analysis)، وكمرحلة أخيرة، لابد من استخدام حصيلة التقويم لبدء دورة فكرية جديدة تكون نواة وحلقة من سلسلة الاجراءات تولد أفكاراً أخرى جديدة. (عبدالله بن اهنية، 2017)

ما المقصود بـ"حقن الأفكار" في العملية التربوية والتعليمية؟

إن ظاهرة "حقن الأفكار" هي ظاهرة سلبية يراد بها تشويه صورة المجتمع، ومسخه وطمس معالم تاريخه. وهي ظاهرة يتوجس منها آباء وأولياء أمور التلاميذ نظراً لما لها من مخاطر على سلامة الأبناء عقلياً وبدنياً ناهيك عن الأخلاق والسلوك. أما معنى حقن الأفكار، فهو ترك الفرصة للمؤسسات التنفيذية كي تتناول الأفكار كبضاعة معلبة، وجاهزة يتم تحضيرها في خفاء أو وراء الكواليس، ثم تمررها أو تصبُّها في عقول الأفراد، وتشيع تطبيقاتها في شبكة العلاقات أو وسائل التواصل الاجتماعي؛ لتكون النتيجة إفساد أساليب التفكير لدى النشء من أبنائنا وبناتنا، لتتفكك حلقات السلوك القويم، ويعم الانحراف والفساد، ويتم تشويه الكيانات ومقومات الموروث الثقافي لدى المجتمع، ويتم بذلك تشتيت الاتجاهات، وعقم الممارسات. (عبدالله بن اهنية، 2017)